وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّة لخضر* الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الحضارة

المحاضرة الخامسة:

مدخل للزيادات المدخلة على المصحف

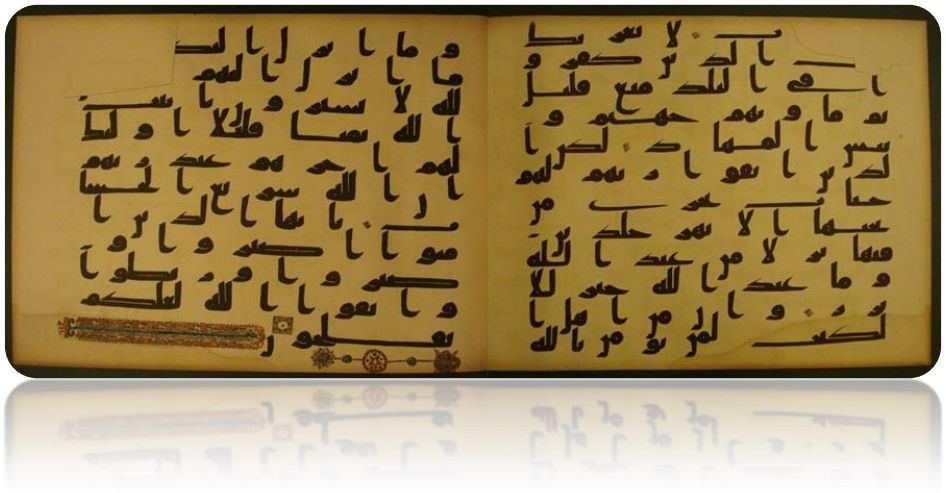

د.مختار قديري

السنة الجامعية: 2023/2022

المحاضرة الخامسة:
مدخل للزيادات على المصحف

استمر الأمر في عهد الصحابة على ما كان عليه من تجريد المصاحف من كل الزيادات، والاعتماد في القراءة على المشافهة وحفظ الصدور وعلى لسليقة العربية فيميزون بسهولة بين المرفوع والمنصوب والمجزوم، ثم استدعى الأمر في عهد التابعين دخول عدة زيادات على المصحف حماية له من التحريف والتصحيف.

أولا: أسباب الزيادات على المصاحف

الزيادات كانت نتيجة امتداد رقعة الإسلام وكثرة دخول غير العرب في الإسلام، وامتزاج العرب بالعجم، والمصاحف التي بين أيديهم كانت مجردة من النقط على ما كانت عليه في الصدر الأول، فظهر اللحن في كتاب الله تعالى، واستشكل عليهم التلفظ الصحيح بالقرآن، وخاصة ما تعلق منها بإعراب أواخر الكلمات، فكانوا يقرءون المرفوع مجروراً كما حدث في قصة الرجل الذي مرّ عليه أبو الأسود وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بكسر لام لفظ ﴿ورسوله﴾ بدل رفعها، ومثل هذه الأخطاء كان لها أثر على المعنى.

مثل هذه الأخطاء أفزعت الولاة والعلماء، ورأوا ضرورة التدخل الرسمي لعلاجه حتى لا يقع فيه المسلمون خاصة المحدثون منهم والعجم، فاجتهدوا في وضع العلامات والرموز اللازمة التي تبين موقعها من الإعراب النطق الصحيح بها.

والملاحظ أن أغلب هذه الزيادات كانت بدايتها في عهد التابعين، ثم استمرت بعد ذلك حتى يومنا هذا، ومن أهم هذه الزيادات نقط الإعراب، نقط الإعجام، التحزيب، عد الآي، الوقف...، وسيكون كلامنا في الدروس القادمة على أهم هذه الزيادات.

ثانيا: الزيادات على الرسم في المصحف

اختلف في حكم الزيادة على الرسم في المصاحف على ثلاثة أقول:

القول الأول: كراهة الزيادة على المصحف

ذهب طائفة من السلف إلى القول بتجريد المصاحف وكراهة نقطها وشكلها من كل ما ليس من القرآن، وعارضوا إدخال أية زيادة عليها، وذلك حماية لكتابة الله من أن يدخله التغيير والتبديل، وممن ذهب إلى هذا القول: ابن عمر، وعبد الله بن مسعود والحسن ، وابن سيرين، والإمام مالك، ...[1].

نقل الزمخشري في الفائق عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " جرِّدُوا القُرْآن لِيْرِبُو فيه صغيركمْ ويَنْأَى عَنْهُ

(1) ينظر: المحكم في نقط المصاحف، الداني، المحقق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق،الطبعة: الثانية، 1407هـ، ص10-11.

كبيركم؛ فإن الشيطان يخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"[1]. قال الزمخشري في شرح كلام ابن مسعود: "أراد تجريد المصحف من النُّقَط والْفَوَاتح والعُشور لئلاَّ ينشأ ناشْىء فيرى أنها من القرآن"[2].

وفي المحكم عن الأوزاعي قال: "سمعت قتادة يقول بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا"[3]، قال الداني: "هذا يدل على أن الصحابة وأكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم إذ هو من التابعين"[4].

القول الثاني: جواز الزيادة على المصحف

رأت طائفة أخرى من السلف الترخص في الزيادة على المصحف، ونُقل عنهم ذلك في مصاحفهم كابن سيرين، والحسن، والكسائي، ...، وذلك محافظة منهم على كتاب الله من أن يدخله التبديل والتغيير من عدم ضبطه وشكله خاصة بعد دخول الأعاجم في الإسلام وكثرة اللحن في كتاب الله[5]، عن ابن مجاهد قال قال خلف يعني ابن هشام البزار: "كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم"[6].

القول الثالث: جواز الزيادة في المصاحف للتعليم

نسب هذا القول للإمام مالك رحمه الله أنه جوز الزيادة في المصاحف التي يتعلم بها الصبيان ومن في حكمهم دون المصاحف الأمهات، أخرج الداني عن عبد الله بن عبد الحكم قال: "قال أشهب سئل مالك فقيل له أرأيت من استكتب مصحفا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى قال مالك ولا يزال الإنسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا قال عبد الله وسمعت مالكا وسئل عن شكل المصاحف فقال أما الأمهات فلا أراه وأما المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان فلا بأس"[7].

---

(1) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، تحقيق : علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية، (205/1).

(2)الفائق في غريب الحديث، (205/1).

(3) المحكم، ص2-3.

(4) المحكم، ص2-3.

(5) ينظر: المحكم، ص 12-13.

(6) المحكم، ص13.

(7) المحكم، ص11.

مما سبق يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

- لا يعني تجريد الصحابة للمصاحف من النقط، أن أمر القراءة متروك هكذا على عواهنه حسب هوى القارئ، بل كان الحفظ في الصدور والمشافهة هو الأساس المعول عليه.
- بعض الصحابة نقل عنهم كراهة الزيادة وجوازها في آن واحد، كابن سيرين وغيره، وذلك يحمل على أنهم كرهوا هذه الزيادة في البداية خوفا من التغيير في كتاب الله، فلما أمن ذلك قالوا بالجواز صيانة لكتاب الله من اللحن فيه. قال النووي:" قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه. وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه. وقد أُمن ذلك اليوم..."[1].

ثالثا: ضوابط خاصة بالزيادات على المصاحف

من أهم القواعد التي ألتزم بها في الزيادات والإضافات في المصاحف الآتي:

1. كل الزيادات دعت إليها الحاجة:

الزيادات في المصحف لم تكن هكذا بدون مبرر، بل دعت إليها الحاجة إلى صيانة كتاب الله من اللحن والتحريف، وإن كانت هذه الدواعي تخلف من زيادة إلى أخرى، فالحاجة مثلا: إلى نقط الإعراب أو الإعجام ليست في نفس المستوى مع دواعي وضع التحزيب، وهكذا.

2. المحافظة على أصل الرسم العثماني

خلال كل هذه الزيادات التي سيأتي ذكرها سنلاحظ أن هناك محافظة على الرسم العثماني من أي تغيير أو تبديل أو حذف...، وأن هذه الإضافات كانت خارجة عن سواد الرسم، سُئل الحسن عن نقط المصحف فقال: "لا بأس به ما لم تبغوا"[2].

3. التفريق بين الزيادات والرسم العثماني

روعي في الزيادات التي أضيفت للمصاحف، المخالفة بينها وبين الرسم العثماني، وذلك بالتفريق بينهما إما بحجم الخط أو المغايرة في اللون، فقد كان الرسم باللون الأسود، فميّزت هذه الزيادات باللون الأحمر، وتمّ تمييز نقط الإعجام بدقة حجم الخط، بدل تمييزه باللون، واعتبروها جزءا من ذوات الحروف العربية.

وجوز الحسن استعمال النقط المخالف لمداد الرسم حتى لا يختلط به فقال: "لا بأس بنقطها بالأحمر"[3]، بالأحمر"[3]، مع أن النقط بالسواد لا يحدث التباسا، إلا أن ذلك من الزيادة في التمييز والمخالفة.

4. الاقتصاد في الرموز والعلامات

كان العلماء يقتصدون ولا يتوسعون في عدد الرموز والعلامات التي أضيفت للمصحف إلا بقدر الحاجة والداعي، وذلك تخفيفا على النسّاخ والقراء، وسيأتي بيان ذلك في حينه.

---

(1) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، حققه: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ص190،198.

(2) المحكم، ص12.

(3) المحكم، ص12.

5. إعطاء هذه الزيادة طابع الرسمية

ما يميز أعلب الزيادات التي سيأتي ذكرها أنها أخذت طابع الرسمية، فكان يشرف عليها ولي الأمر أو من ينوبه، وهذا من أهل العوامل التي كانت وراء قبول هذه الإضافات وانتشارها في الآفاق.